

لكن ما عدا هذا الشعار، ت ساعتين. من إجراء عملية أخرى. هـ كان الـ بد قلت ذات يوم للمرحوم أخي. في أحد أركان الغرفة، قطارة، مسرى كهربائي، الإيقاع المنتظم أول سؤال طرحته على الطبيب جون تريفور يوم أبلغني بضرورة إجراء عملية زرع جديدة هو «من هو الواهب؟». بدا أنه وجد السؤال بريئاً فسره ذلك وأشرق وجهه بابتسامة عطوف: «يا صاحب السمو، ليس لدينا أي فكرة عنه؛ أهو أسود، أم أبيض، أم أصفر؛ أو هو رجل أم امرأة؟ الـ نحصل على هذه المعلومات إـالـ يوم المتلقـي الراسخ في أفكاره المسبقة هل يجرؤ أو الـ يشاطـر إيمـانـه الدينـي؟ غـريب أمر الموت أسبـابـ الـ نعلمـهاـ. وأـناـ أـصـفـيـ إـلـيـ آـهـلـ لمـ يـخـلـقـنـاـ مـخـلـقـينـ إـلـ باـسـمـ الشـيءـ الوـحـيدـ الـذـيـ لمـ يـكـنـ مـسـؤـواـلـ عنـهـ. مـنـذـ ثـالـثـ سـنـوـاتـ يـعـيـشـ فـيـ جـسـميـ عـضـوـ غـرـيبـ. يـهـمـ هـلـ تـشـعـرـ بـأنـكـ فيـ حـالـ جـيـدةـ،ـ نـعـمـ،ـ مـاـ الـخـبـارـ؟ـ تـرـيدـ أـنـ تـتـحدـثـ عـنـ الـعـرـاقـ،ـ أـفـتـرـضـ.ـ الـحـربـ أـصـبـحـ مـحـتمـةـ.ـ مـنـذـ كـانـ نـشـيـبـيـ عـلـىـ بـأنـكـ فيـ حـالـ جـيـدةـ،ـ نـعـمـ،ـ مـاـ الـخـبـارـ؟ـ تـرـيدـ أـنـ تـتـحدـثـ عـنـ الـعـرـاقـ،ـ أـفـتـرـضـ.ـ الـحـربـ أـصـبـحـ مـحـتمـةـ.ـ

حقـ الـأـلـمـ مـحـزـنـ جـداـ،ـ أـحـيـاـنـاـ أـنـ تـكـوـنـ لـغـةـ بـعـضـ السـيـاسـيـيـنـ مـدـرـوـسـةـ بـحـيـثـ يـبـدوـ الـكـذـبـ حـقـيـقـةـ وـالـعـطـاءـ الـمـعـدـنـ مـظـهـرـ الـذـهـبـ.ـ

استـمـعـتـ أـمـسـ مـنـ التـلـفـازـ إـلـيـ وزـيرـ الدـفـاعـ،ـ حـتـىـ أـنـهـ الـعـرـاقـ.ـ مـنـذـ الـيـوـمـ الـأـلـوـلـ الـنـفـجـارـ هـذـهـ الـأـلـزـمـةـ لـمـ أـكـفـ عـنـ التـفـكـيرـ عـنـ السـلـطـةـ وـيـتـرـكـ الـعـرـاقـ.ـ كـ؟ـ وـأـيـنـ يـذـهـبـ،ـ يـأـتـيـ إـلـيـناـ.ـ أـنـاـ مـسـتـعـدـ السـتـقـيـبـالـهـ،ـ الـوـسـيـلـةـ الـوـحـيدـةـ لـوـضـعـ حـدـ لـلـأـلـامـ الـتـيـ يـعـانـيـ مـنـهـ الـشـعـبـ الـعـرـاقـيـ مـنـذـ سـنـوـاتـ،ـ وـافـقـ نـشـيـبـيـ بـحـرـكـةـ مـنـ رـأـسـهـ.ـ الـفـكـرـةـ تـبـدوـ لـيـ مـمـتـازـةـ لـكـنـ كـيـفـ يـمـكـنـ إـقـنـاعـ صـدـامـ؟ـ نـيـدـأـ بـنـقـلـ هـذـاـ عـرـضـ إـلـيـهـ.ـ نـاـولـنـيـ الـهـاتـفـ،ـ بـهـ وـالـأـسـيـوـيـةـ.ـ اـمـ سـوـفـ يـنـتـهـزـ هـذـهـ الـفـرـصـةـ أـنـ صـدـ اـعـتـقـدـ حـقاـ لـأـلـسـفـ،ـ ذـهـبـتـ جـهـودـيـ كـلـ دـىـ.ـ بـعـدـ أـنـ أـعـطـيـ الرـئـيـسـ الـعـرـاقـيـ الـنـطـبـاعـ بـأـنـ يـرـحـ إـلـيـ دـعـوـتـهـ عـلـىـ مـاءـ وـجـهـهـ.ـ مـارـسـ،ـ فـيـ اـمـ،ـ بـذـلـكـ كـانـتـ نـهـاـيـةـ صـدـ تـلـ الـرـخـامـ الـلـنـقـيـ فـيـ

الـعـالـمـ،ـ مـنـ كـرـارـاـ فـيـ إـيـطـالـياـ،ـ وـحـتـىـ مـنـ الـصـينـ،ـ دـالـعـمـالـقـ.ـ أـلـفـيـ عـاـمـلـ انـكـبـواـ عـلـىـ تـجـمـيعـ هـذـاـ الـمـرـكـبـ الـمـعـقـ مـنـيـتـيـ أـنـ يـعـبـرـ هـذـاـ

الـمـسـجـدـ الزـمـنـ مـنـ دـوـنـ أـنـ يـتـصـدـ كـانـتـ أـمـلـ كـثـيرـ مـنـ الـمـبـانـيـ فـيـ بـضـعـةـ عـقـودـ.ـ كـانـ الـأـلـمـ الـكـثـرـ هـوـ إـيـجادـ الـمـوـقـعـ الـمـنـاسـبـ.

مـعـظـمـ الـجـزـيـرـةـ كـانـ مـكـنـظـاـ تـعـقـيـداـ بـالـمـبـانـيـ،ـ اـسـتـدـعـاـ شـرـكـتـيـنـ مـعـرـوـفـتـيـنـ بـجـدـ وـالـثـانـيـةـ إـيـطـالـيـةـ.ـ الـأـلـمـورـ عـلـىـ نـحـوـ أـفـضـلـ.ـ باـطـنـ الـأـرـضـ وـالـهـوـاءـ.ـ إـنـ لـمـ نـ اـخـتـبـارـ.ـ عـمـلـ هـائـلـ.ـ مـاـ زـلـتـ أـسـمـعـ صـوتـ عـزـيـزـيـ فـارـسـ.ـ وـتـكـلـمـ وـحـدـكـ.ـ كـنـتـ تـقـوـلـ:ـ «ـهـنـاـ سـتـقـوـمـ مـدـرـسـةـ ذاتـ

يـوـمـ،ـ فـعـلـتـ سـوـىـ أـنـ الـأـلـمـ يـتـعـلـقـ الـيـوـمـ بـأـكـبـرـ مـسـجـدـ فـيـ بـصـورـةـ مـاـ،ـ فـيـ نـقـطـةـ وـاحـدـةـ:ـ الـأـنـوـيـ مـطـلـقـاـ بـنـاءـ أـكـبـرـ لـمـ يـخـطـيـ إـلـ بـلـ

مـسـجـدـ يـجـسـدـ النـبـلـ وـالـطـهـارـةـ.ـ تـحـفـةـ فـنـيـةـ.ـ 470ـ بـالـمـنـارـاتـ الـأـلـرـبـعـ سـهـامـهـاـ عـلـىـ اـرـتـفـاعـ الـأـلـنـ تـصـوـرـأـوـ تـلـقـيـ بـظـلـهـاـ عـلـىـ الـقـبـابـ.ـ عـدـدـهـاـ

اثـنـثـانـ وـثـمـانـونـ قـبـةـ بـسـبـعـةـ نـأـلـفـ عـمـودـ الـتـيـ أـشـكـالـ مـخـلـفـةـ.ـ كـمـاـ كـنـتـ هـيـ،ـ الـتـيـ عـرـفـتـهـاـ فـيـ مـطـلـعـ الـيـوـمـ الـنـجـومـ.ـ تـبـذـ وـاعـتـرـافـاـ